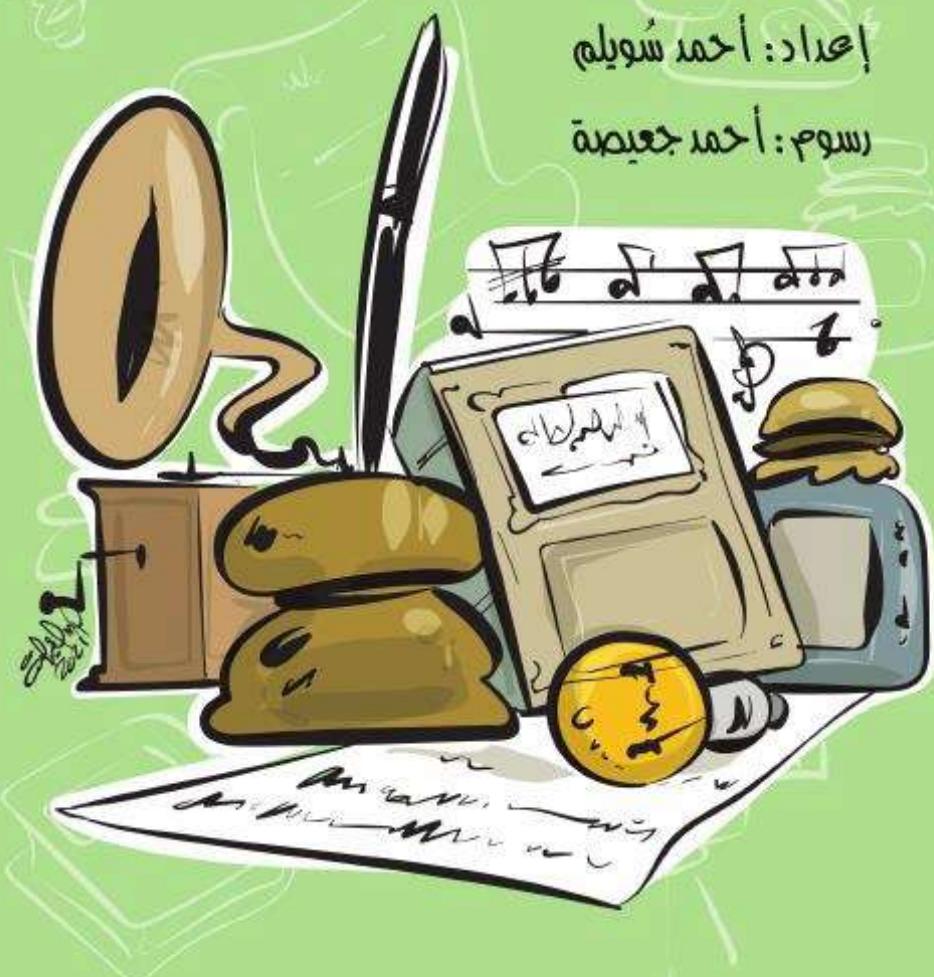




القتزقوق العجائب

إعداد: أحمد سليمان

رسوم: أحمد جعده



القفز فوق الصعب

إعداد

أحمد سويلم

إشراف

د/ هدى حميد معوض

مدير إدارة الإعلام بوزارة الأوقاف

مراجعة وتقديم

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م





الهيئة المصرية العامة للكتاب



القزقوق فوق الصعب

مراجعة وتقديم
أ.د/ محمد مختار جمعة

الإذاء الوارد في هذا الكتاب لا يعبر بالضرورة عن توجيه الهيئة.
يلغى عن رأي المؤلف ونوجه في افهام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن
كتاب من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بإشارة إلى المصدر.

رئيس مجلس الادارة

د. فهمي العاجي

طبعة الأولى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠١٦

عن بـ ٢٣٥ رسماً
١٩٩٤ كورنيش النيل - بولاق القديمة
البر الرمدي، ١١٧٩٤
التليفون: ٠٢٨٧٧٧٥١٩٥ (٢٠٢) ٣٤٩٦٤٦٩
فاكس: ٠٢٨٧١٤٣٧٦ (٢٠٢)

GENERAL EGYPTIAN BOOK ORGANIZATION

P.O.Box: 235 Ramses.
1194 Cornich El Nil - Boulac - Cairo
P.C.: 11794
Tel.: +(202) 25775109 Ext. 149
Fax: +(202) 25764276

website: www.egyptianbook.org.eg
E-mail: katabgebo@gmail.com
www.goho.gov.eg

إدارة المشروعات الثقافية

طباعة والتزيين
مطبع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رسوم

أحمد جعيضة

الإخراج الفني

إيمان حامد



القُبَّرْ قُوَّةِ الْمُجَاهِدِينَ

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن هذا الكتاب يعد أهودجًا متميّزًا في تقديم نماذج عظيمة تحدّت الصعاب، وأكّدت أنّه لا يأس مع الحياة، ولا حياة مع اليأس، وأنّ الإنسان بما منَّ الله (عز وجل) عليه من النعم وما اختبره في بعضها قادر إذا تحلى بالعزيمة والإرادة على تخطي الصعاب.

كما يبيّن أن متحدي الإعاقة أو ذوي القدرات الخاصة - كما يطيب لنا أن نطلق عليهم - قد أسهموا إسهاماً بارزاً في صنع الحضارة الإنسانية عبر التاريخ الإنساني بعصوره وبيئاته المختلفة.

ولتأكيد أنّ الإنسان هو الإنسان في مختلف العصور والحضارات قدم الكتاب نماذج مشرفة لمتحدي الإعاقة والصعاب من مختلف العصور والحضارات، فهم وإن اختلفت بيئاتهم وحضارتهم وثقافاتهم فإنّهم قد اشتراكوا جميّعاً في قوّة الإرادة والعزمية، وإعطاء أهودج مشرف للتتعامل مع الصعاب والتحديات، وأعطوا مثلاً شديداً التميّز في فتح باب الأمل واسعاً لأنفسهم ولغيرهم من ذوي الهمم العالية، فجاء الكتاب مفعماً بالدروس والعبر، ليس لذوي الهمم وحدهم، بل لكل من يبحث عن التميّز في ذاته، ويطمح أن يكون علامة بارزةً في التاريخ الإنساني، أو أن يقدم خدمةً جليلةً لوطنه وللإنسانية.

والله من وراء القصد وهو الموفق والمستعان.

أ.د/ محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف

مقدمة

قصة هذا الكتاب

كثيرون كتبوا سير العظام، وكان عطاوهم دلائل هذه العظمة، لكن هناك طائفه من العظام يقدر ما كان عطاوهم مثمناً ومفيداً للبشرية بقدر ما كان ألمهم وتحديهم له مثالاً يحتذى ونبراساً يهتدي به السائرون.

وهم هؤلاء الذين امتحنهم الله في حواسهم ففقدوا حاسة أو أكثر منها، لكنهم لم يستسلموا لهذه المحنـة، ورفضوا أن تكون سبباً للنقص أو العجز، وإنما تغلبوا على كل شيء يعوقهم، وقهروا العجز، بل انطلقوا إلى قمم المجد، سلامتهم الصبر على المحنـة، وعشق الحياة، وتحقيق الحلم، وتحدي المستحيل؛ فصاروا أمثلة للأجيال، وقدوة إلى آفاق العطاء والإنجاز.

ومن ثم جاءت فكرة هذا الكتاب الذي يضم عدداً من الشخصيات العربية والأجنبية الذين فقدوا حاسة أو أكثر من حواسهم، ولم يستسلموا لهذا فقد، وحققوا للإنسانية أحلاًماً كثيرة ربما فاقت ما يتحققه الأصحاء.

وحينما نقدم هذه الأمثلة العظيمة إنما نؤكد أن الله تعالى منح الإنسان قدرات كبيرة، بل عُرض أي نقص في حواسه بقوة في حواسه الأخرى.

وقد حرصنا على بيان كيف استطاع صاحب هذا النقص المادي الظاهر أن يتحدى إعاقته، ولا يبالي بها، ولا يجعلها تقف حجر عثرة في طريق تحقيق أحلامه وإنجازاته.

ونحن إذ نقدم هذه الشخصيات إلى أجيالنا الجديدة فإنما نقدم فمادج للقدوة، وللشخصية القوية الفاعلة التي لا يقهـرها عجز، ولا يحول دون تحقيق أحلامها عائق.

والله ولي التوفيق

أحمد سويلم

عمرو بن الجموح قصة شهيد

عن النبي ﷺ أنه قال في شأن عمرو بن الجموح: لو أقسم على الله لأبره . وأنه: يخوض في الجنة بعرجهنه^(١).

عاد المسلمين من يوم بدر يحملون ألوية النصر، ويفرحون بما آتاهم الله من فضله، لكن واحداً من أصدق الناس إسلاماً يمنعه أولاده الأربعية من المشاركة في هذا اليوم، لأن الإسلام قد أفعى من في ساقه عرج شديد من القتال، وإنه ل كذلك حقاً، فهو لا يستطيع الكُرُّ والفرُّ على قدميه، وإذا اشترك في القتال فهو مقتول لا محالة.

شعر المؤمن الصادق "عمرو بن الجموح" أن قعوده عن القتال استسلام لمحنته، وعجز عن الجهاد والدفاع، أخذ يبكي ويتوعد نفسه بالتخلي عن خمولها وعجزها.

ويجيء يوم أحد فيجمع عمرو بن الجموح أبناءه الأربعية قائلاً: لقد منعتموني الخروج إلى بدر، فلا معنوني الخروج إلى أحد. قال أباواه: إن الله قد عذرك، ونحن نتضليلك.

ويتركمهم عمرو قاصداً رسول الله ﷺ، ويلحقه أباواه، فيبادر الرسول الكريم قائلاً: يا رسول الله إن يبني هؤلاً يمنعون أن أخرج معك، والله إني لأرجو أن أستشهد فأحاط بعرجي هذه في الجنة.

فتبسم الرسول الكريم ﷺ وقال: أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد. ويلوح عمرو بن الجموح في الخروج ويبكي بين يدي رسول الله، فيلتفت الرسول الكريم لأنبائه قائلاً: وما عليكم أن تدعوه، لعل الله

(١) انظر: صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٨ـ١٩٨٨م، حديث رقم ٧٢٤.



يرزقه الشهادة^(٢).

ويسرع عمرو إلى سلاجه، ويمضي به، ويشاهده المسلمين متهدياً عرجته، يقع حيناً وينجاوز الصعب حيناً آخر ومعه عبد الله بن عمرو بن حرام، وحوله أولاده الأربع، مشهد رائع من مشاهد الإيمان والصدق والإرادة.

ويرتفع صوت عمرو: اللهم ارزقني الشهادة، ولا تردنن إلى أهلي خاتمة، ويوصي ولده جابرًا بقوله: إني أرجو أن تكون أول من يصاب في أحد، فأوصيك ببنات عبد الله خيراً.

ويستشهد عمرو وعبد الله، فمر عليه رسول الله ﷺ فقال: كاني انظر إليك تمشي برجلك هذه صحيبة في الجنة^(٣). وأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد، لما كان بينهما من ود في الدنيا وهو زوج اخته.

وبיקيه المسلمون، ويذكرون كيف كانت الأيام تمر عليه بطينة ثقيلة قبل أن يعلن إسلامه، وهو شريفبني سلمة، وعلى قمة قومه يخشون أن يردوه في حديث أو رأي، غير أنه كان في شوق إلى أن ينفض عن نفسه ضلالات الشرك والأوثان، حتى أسلم وقال:

الحمد لله العلي ذي المتن السواهـب الرـزاق دـيـان الـديـن
هو الـذـي انـقـذـنـي مـن قـبـلـ أـنـ أـكونـ هـيـ ظـلـمـةـ قـبـرـ مـرـتـهـنـ
بـأـحـمـدـ الـهـادـيـ النـبـيـ الـمـرـتـهـنـ

ويسلك عمرو بن الجموح طريق الهدایة ليصل فيه إلى أقصاه بصدق وثبات وإرادة، حتى ينال الشهادة في ٧ من شوال سنة ٣٥هـ، ويطأ الجنة بساقه العرجاء.

(٢) انظر: سنن البيهقي، كتاب السيرة، باب من اعتذر بالضعف واقرض، حديث رقم ١٧٨٢١.

(٣) انظر: مسنـدـ أـحـمـدـ، حـدـيـثـ رقمـ ٢٢٥٥٢ـ.

عبد الله بن أم مكتوم كريم العينين

كان الرسول الكريم إذا رأى ابن أم مكتوم يقول له: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي^(١)! سبق غيره إلى الإسلام، وتحمل المشاق في سبيل إعلان دينه والإيمان بربه الكريم، فهاجر مع المهاجرين من مكة إلى المدينة، ولم يقف فقدمه ليصبره دون المشاركة الفعلية في الدعوة الإسلامية، فحفظ القرآن الكريم، وكان قوي الحافظة، وروى الكثير من أحاديث الرسول الكريم.

كان عبد الله بن أم مكتوم جميل الصوت، حلو النبرات، ولهذا جعله الرسول الكريم مؤذناً للصلوة مع بلال بن رباح، ويسعد ابن أم مكتوم بمكانه من الرسول الكريم.

إلى أن جاء يوم فيه وفَدْ سادة قريش على بيت النبي ﷺ، وكان يضم هذا الوفد: عتبة بن ربيعة وأخاه شيبة، وعمرو بن هشام، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة، والعباس بن عبد المطلب، ومكث الوفد يجادل الرسول الكريم، والرسول مشغول به، يجيب ويجادل بالتي هي أحسن. ويأتي عبد الله بن أم مكتوم يريد أن يسأل محمداً ﷺ أن يعلمه شيئاً من القرآن، وهو لا يرى اجتماعه ﷺ بالقوم، فيعرض عنه الرسول ﷺ لانشغاله بسادة قريش، ويدهش عبد الله حزيناً، ويبيط الوحي الكريم بقوله تعالى: «عَبْسٌ وَتَوْلَىٰ * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْقَنِيُّ * وَمَا يَنْدُرِيكَ لَعْلَهُ يَرَكِيُّ + أَوْ يَذَكَّرِيُّ فَتَنَقَّعُهُ الذَّكْرِيُّ + أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنْتَ لَهُ تَقْنَدِيُّ + وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَرَكِيُّ + أَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَحْسَنِيُّ + فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهِيُّ»^(٢).

وهذا الموقف الذي جاء في هذه الآيات يدل دلالة عظيمة على مكانة هذا الصحابي الجليل عند الله تعالى، وبعد هذا الموقف كان النبي ﷺ كلما رأه قال له: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة^(٣)، ويقربه الرسول الكريم من نفسه، ليس إشفاقاً عليه، وليس لكونه فاقد البصر، وإنما ملزنته عند الله عز وجل، ولعلمه وأدبه.

(١) معجم السنن للخطيب، ٣/٣، المطبعة العلمية - حلب، ط. ١، ١٤٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

(٢) سورة عبس، الآيات ١٠ - ١.

(٣) تفسير الطالب، ١٢١ / ١٠، تحقيق: أبو محمد ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط. ٦، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

لقد استخلفه الرسول الكريم على المدينة المنورة ثلاثة عشرة مرة في أثناء خروجه منها لجهاد المشركين ورد عدوائهم، كما استخلفه كذلك في حجة الوداع، وهذا تشريف كبير لابن أم مكتوم من النبي ﷺ.

وكان ابن أم مكتوم ثاقب الرأي، كريم الخلق، كان يجلس في المسجد يعظ المسلمين ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم، كما كان في فترة بقائه في المدينة أثناء استخلافه عليها يجمع الأطفال ويعلمهم القرآن الكريم.

إنها سيرة عظيم من عظماء الصحابة، وواحد من الذين صنعوا بإرادتهم مجدًا عجز عنه المتصرون، فلم يستسلم لنقص حستي، بل ناضل بصيرته في كل مجال، حتى ذلك الميدان الذي لم يكن واجباً عليه أن يناضل فيه، حتى استشهد بمعركة القادسية سنة 15هـ، وبذلك نجد أن الله قد منحه الشهادة والجنة معاً، ويضرب مثلاً عظيماً لقوة الإرادة والإيمان.



أبو الأسود الذهلي

أمير النهاة

قال له ابن عباس لما مرّ به وهو يعرج: "لو كنت جملًا كنت ثفلاً، أي: بطيناً"، إذ هو من العرجان الأشرف كما صنفه الجاحظ، واسمـه ظالم بن عمرو بن سفيان.

محنٌ كثيرة حلّت بهذا الرجل كانت كفيلة بأن تعزله عن الناس، وتضعـه بين جدران أربعة من اليأس والضيق والهم والخمول، لكنه لم يستسلم لأيٍّ من هذه المحن؛ فكان أول من وضع العربية ونقط المصاحف، وقيل في هذا: إن أمر العربية كان لا يجعلـه يذوق النوم؛ فذهب إلى زياد بالبصرة، فقال له:-

إني أرى العرب قد خالـلت الأعاجم، وتغيرـت أـستـهم!!

قال زياد: وماذا أفعلـ بهم يا أبو الأسود؟

قال أبو الأسود: أريد أن تأذنـ لي أن أضعـ للعرب كلامـاً يـقـيمـونـ بهـ كـلامـهـ، فـسـخـرـ منهـ زيـادـ وـمـ يـأـذـنـ لهـ، ثم جاءـ زيـادـ رـجـلـ فـقـالـ: أـصـلـحـ اللهـ الـأـمـيرـ، تـوـقـيـ "أـبـانـاـ" (أـبـونـاـ) وـتـرـكـ "بـنـونـ" (بـنـينـ). فـقـالـ زيـادـ مـتـعـجـباـ:-

تـوـقـيـ "أـبـانـاـ" وـتـرـكـ "بـنـونـ"!! ثم صـاحـ: اـدـعـ لـيـ أـبـاـ الـأـسـودـ. فـجيـءـ بـهـ.

فـقـالـ لـهـ زيـادـ: ضـعـ لـلـنـاسـ الـذـيـ كـنـتـ نـهـيـتـكـ أـنـ تـضـعـ لـهـمـ! وـاعـتـذـرـ لـهـ زيـادـ وـاستـضـاهـ! وـبـداـ أـبـوـ الـأـسـودـ

يـضـعـ أـسـسـ الـعـرـبـةـ نـحـواـ وـصـرـفـاـ.

وـرـوـيـ أـنـ أـبـاـ الـأـسـودـ كـتـبـ إـلـىـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ، كـرـمـ اللـهـ وـجـهـهـ، يـقـولـ: أـمـاـ بـعـدـ، فـإـنـ اللـهـ جـعـلـكـ مـؤـمـنـاـ

وـرـاعـيـاـ مـسـنـوـلـاـ، وـقـدـ بـلـوـتـكـ فـوـجـدـتـكـ عـظـيمـ الـأـمـانـةـ، نـاصـحـاـ لـلـرـعـيـةـ، تـنـزـهـ نـفـسـكـ عـنـ دـنـيـاهـمـ، وـإـنـ بـنـ عـمـكـ

عـبـدـ اللـهـ قـدـ أـكـلـ مـاـ تـحـتـ يـدـيـهـ بـغـيرـ عـلـمـكـ، فـلـاـ يـسـعـنـيـ كـتـمـانـكـ فـيـ ذـلـكـ، فـانـظـرـ رـحـمـكـ اللـهــ. فـيـماـ

هـنـاكـ، وـتـقـدـمـ إـلـىـ فـمـ أـحـبـيـتـ أـتـبـعـهـ إـنـ شـاءـ اللـهـ!

فـكـتـبـ إـلـىـ عـلـيـ: أـمـاـ بـعـدـ، فـإـنـكـ نـاصـحـ لـإـلـامـ وـالـأـمـةـ، وـأـنـتـ مـنـ وـالـ أـهـلـ

الـحـقـ وـبـارـزـ أـهـلـ الـبـاطـلـ وـالـجـوـرـ، وـقـدـ كـتـبـتـ إـلـىـ صـاحـبـكـ فـيـمـاـ كـتـبـتـ فـيـهـ إـلـىـ مـنـ

أـمـرـهـ، وـمـ أـعـلـمـهـ كـتـابـكـ إـلـىـ.

وـيـبـدـوـ لـنـاـ مـنـ هـذـاـ الـمـوـقـفـ وـالـرـدـ عـلـيـهـ مـاـ تـمـتـعـ بـهـ أـبـوـ الـأـسـودـ مـنـ حـكـمـةـ وـشـجـاعـةـ وـحـرـصـ

عـلـىـ الـحـقـ وـالـعـدـالـةـ.



ويُنجز أبو الأسود الدؤلي علم العربية
بقواعدِه، متحدياً كل ما ألمَ به من محنٍ،
معلناً صوته بالحق والعدالة والإيمان،
لا يهاب في عمله إنساناً، ولا
يستسلم لشيء.

وتُوفى أبو الأسود
سنة تسع وستين
في طاعون الجارف
بالبصرة، وكان
أبو الأسود في
الخامسة
والثمانين
من عمره.

محمد بن سيرين الفقيه الورع

"من سرّة أن ينظر إلى أورع أهل زمانه، فلينظر إلى محمد بن سيرين"

(بكر بن عبد الله المزنبي)

وضعه ابن قتيبة في كتابه المعارف ضمن أصحاب العاهات من الصم، لكنه أدهش الناس في زمانه وفي كل الأزمان بورعه، وحكمته، وعلمه في مجال الرؤيا وتفسير الأحلام.

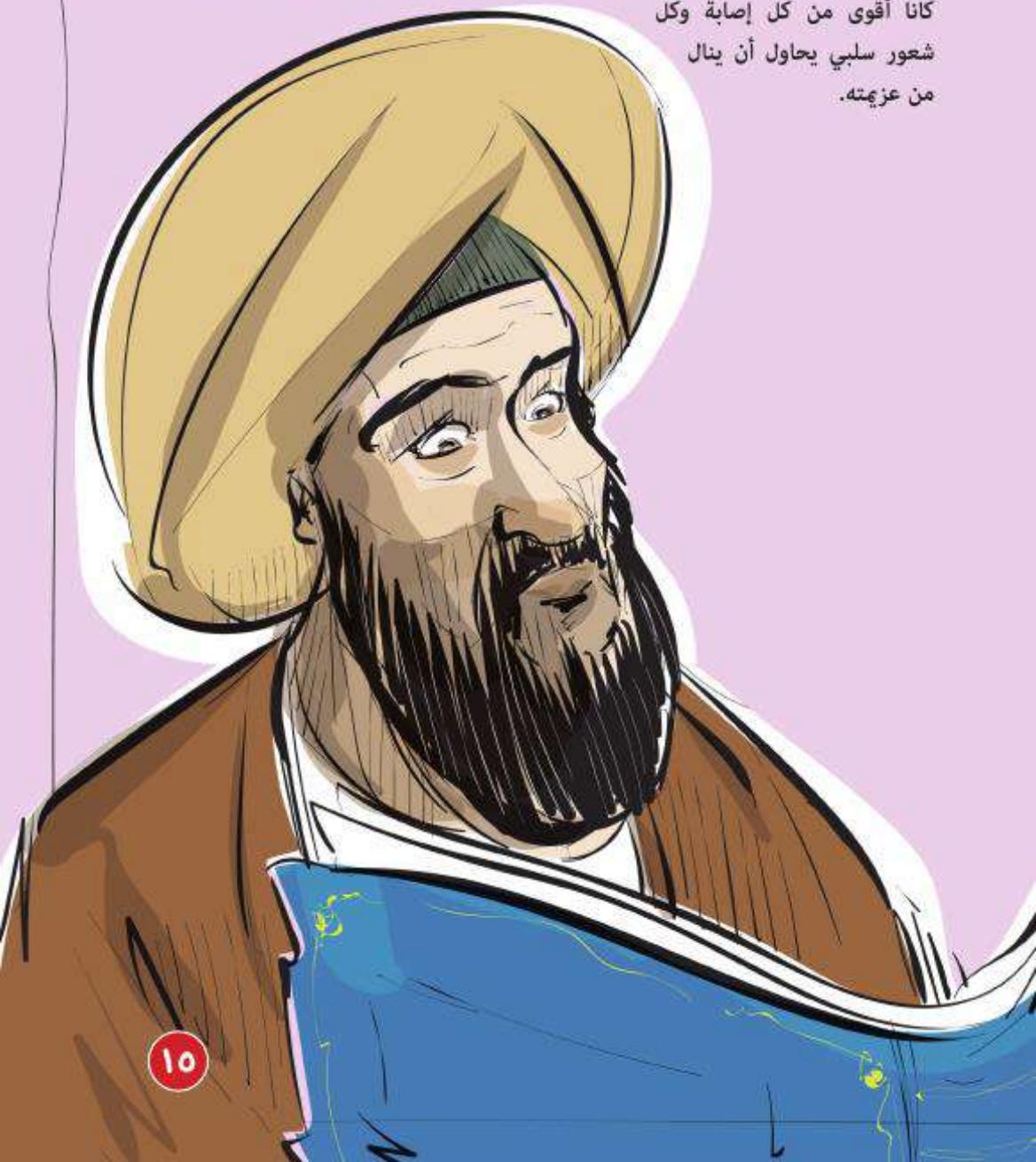
ولد محمد بن سيرين سنة ٣٣٣هـ، وكان سيرين والده مؤلي لأنس بن مالك الصحابي الجليل، وكانت أمه مولاة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وينشأ محمد بن سيرين في هذا المناخ الطيب الذي يتحلى بالدين والعلم والخلق الكريم، ولم يقف ما كان يشعر به من ضعف في سمعه دون أن يتفقه ويتعلم، وتصبح له تلك الشهرة الكريمة. لقد كان ابن سيرين فقيهاً وإماماً في الأحكام، وله فتاواه التي تجعله من أهم علماء التابعين، أخذ عن أنس بن مالك، وأخذ عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير.

وكان شديداً الذكاء، سريعاً في تفاسير البديهة في الفقه والقضاء، ويُذكر أنه لم يكن أحداً أعلم بالقضاء منه في زمانه، وقد شهد له الكثيرون بالحكمة والعلم.

إلى جانب مكانته في الفقه كانت شهرته في تعبير الرؤيا، وله كتاب في تفسير الأحلام جمعه له بعض تلامذته في تأويلاته، ويعد من أمهات الكتب في هذا المجال؛ حيث اعتمد فيه على فطرته وحدة ذكائه ومعرفته بالكتابات والتقاط الدلالات المناسبة. وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ في عهد هشام بن عبد الملك.

هذا هو محمد بن سيرين، الإمام الكبير الذي كان في مقدمة علماء عصره، والذي طرق أبواباً في الحياة قد تستعصي على الكثرين بالرغم من إصابته بالصمم، لكن إرادته وإيمانه كانا أقوى من كل إصابة وكل شعور سلبي يحاول أن ينال من عزيمته.



أبو العلاء المعرى فيلسوف الشعراء

واني وان كنت الاخير زمانه لات بما لم تستطعه الاولى

(أبو العلاء)

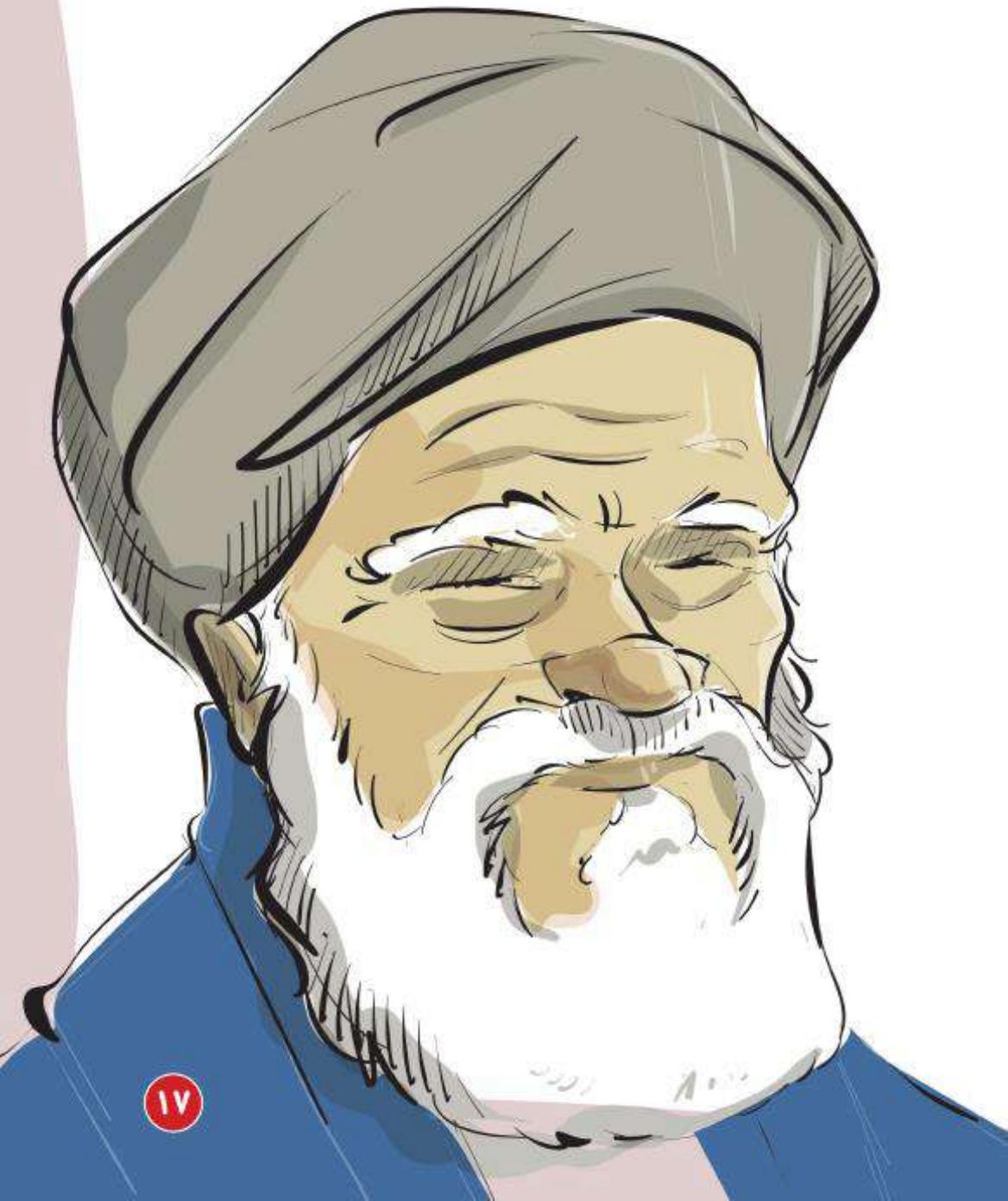
كانوا ثلاثة إخوة، رياهم الأب العام الأديب عبد الله بن سليمان: أبو المجد أكبرهم، وأبو العلاء أوسطهم، وأبو الهيثم أصغرهم، وكان الأب قد وضع فيهم آماله، فعاش أبو المجد أديباً شاعراً، وعاش أبو الهيثم عالماً أدبياً، ونال أبو العلاء شهرة أكثر من أخيه.

لم يك أبو العلاء يبلغ الرابعة من عمره حتى أصيب بداء الجذري، وتسبب في فقد بصره، ليبدأ أبو العلاء قصة الصراع والتحدي مع إصابته.

ويحزن الأب الشيخ، ولأنه كان يتمنى لولده السعادة في حياته نجده قد أقبل على ولده لعله يغوضه عن فقد بصره، فظل يرعاه ويلقنه العلم والأدب، ويقوده إلى حب الناس والحياة. ولم يكن هذا فقط ما أصاب أبو العلاء، فقد كان صبياً دميم الوجه، يتلقى سخرية رفقائه وهو صابر لا يستسلم، ويدرك به والده إلى شيوخ "المغاربة" بلدته فيقرأ القرآن الكريم ويحفظه وهو في سن مبكرة، ويستمع إلى أحاديث الرسول ﷺ.

ويدرِّب أبو العلاء ذاكرته على الحفظ، ويلفت ذكاء الطفل علماء وشيوخ المغيرة، حتى اشتهر وهو صبي يملكه الحفظ والذكاء، وكان أبو العلاء يفخر بهذه الملكة الحافظة ويقول: ما سمعت شيئاً إلا حفظه، وما حفظت شيئاً ونسيته.

وقد رحل أبو العلاء يوماً إلى مدينة أنطاكية، وتردد على مكتبة فيها، وكان أمين المكتبة يتعجب من أمر الصبي فاقد البصر؛ فهو يأتي كل يوم ويطلب منه أن يقرأ له في كتب المكتبة، ثم بعد أن ينتهي من القراءة يجلس أبو العلاء فيعيد عليه ما قرأه جميعاً حرفاً حرفاً، لا يخطئ في شيء، ولا يقف لحظة واحدة.



وكان يعزي نفسه عن فقد بصره فيقول: أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر، فقد كفاني رؤية الشلاء البغضاء.

بهذه الروح الساخرة أقبل أبو العلاء على الحياة، يفتح لها ذراعيه وقلبه وعقله، يتخطى محنته، ويخوض كل مجال فيتفوق فيه على المبصرين أنفسهم، ويرفض الإشراق والعنون أو الوصاية من أحد، ولم تزد سخرية الناس منه إلا فرحاً منها إليهم، فلم ينزعز عنهم، بل كان يجلس إليهم ويشارك بأشعاره وآرائه في تسجيل أحداث عصره، ويدعوه مستمعيه بشعره الذي امتلا حكمة وفلسفة، بل استطاع بشعره أن يبحِّر مستمعيه حينما يتحدث عن الطبيعة وألوانها، وعن الليل والنهر، بما لا يستطيعه شاعر مبصر.

وكان حريصاً على مُناظرة أهل زمانه في قضايا العلم والأدب والفلسفة، فينتصر عليهم جميعاً بذكائه ورجاحة عقله.

ومكانته في الشعر يعترف بها الجميع، فقد كتب الشعر في أغراض كثيرة، ومدح دون أن يأخذ مقابلأً لهذا المدح كما كان يفعل شعراء زمانه، وكتب في الرثاء والهجاء والغزل بصدق شديد، وانفتح على الدنيا وجعلها في قبضة يده.

لكن الأيام لم تمهد أبا العلاء، ولم تتركه يضع مصيره بنفسه، فقد مات أبوه المعلم عبد الله وهو في الثالثة والثلاثين؛ ففقد الشاب الضرير أبا رحيمًا ومعلماً صديقاً، كان إلى جانبه في محنته، يمنحه طاقة من المقاومة والتحمل، ثم ترحل أمه عن الدنيا فيكي عليها قائلًا: يا سلوة الأيام موعدك الحشر، موعد والله بعيد، لكل أجل كتاب، وحزني لفقدك كنعميم أهل الجنة
كلما نفذ جدد.

وَمَنْ تَقْفَ الْمَصَابَ عَلَيْهِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ؛ فَقَدْ أُصِيبَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ بِفَقْدِ أَخِيهِ الْأَصْغَرِ أَبِي الْهَيْثَمِ، وَيَتَابِعُ الرَّاحِلِينَ مِنْ أَهْلِهِ وَأَحْبَابِهِ، وَيَقْفَ أَبُو الْعَلَاءِ يَوْمًا مَعَ نَفْسِهِ: لَقَدْ فَقَدَ الْبَصَرَ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَفَقَدَ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَكَثِيرًا مِنْ أَهْلِهِ وَأَحْبَابِهِ، ثُمَّ هَذَا هُوَ ذَلِكَ يَحْاولُ الْإِنْشَغالُ بِتَلْقِي الْعِلْمِ فِي بَغْدَادِ، فَيَلْقَى مِنْ أَهْلِهَا الْحَسْدَ وَالْكَرَاهِيَّةَ، فَيَقْضِي أَبُو الْعَلَاءِ أَنْ يَجْلِسَ فِي بَيْتِهِ وَيَنْقُطِعَ إِلَى الْعِلْمِ، فَقَيْلَ عَنْهُ: "رَهِينُ الْمُحْبِسِينَ؟"؛ مَحِسُّ الْعَمَى وَمَحِسُّ الْبَيْتِ فِي جَدْرَانِهِ الْأَرْبَعَةِ.

وفي ليلة صامتة هادئة في بلدة المعرة، وفي شهر ربيع الأول عام ٤٤٩ هـ كان لدى أبي العلاء الطبيب يحاول أن يداويه؛ لقد فقد سمعه إلى جانب بصره، بل عجز عن القيام والسير والحركة، لكن عقله كان الشيء الوحيد الذي لم يصب بسوء حتى لقي ربه في الرياح الأول عام ٤٤٩ هـ.

لقد كان أبو العلاء المعربي مثلاً عظيماً للتحدي والإرادة وعبور كل المحن العنيفة في حياته، طوال خمس وثمانين سنة عاشها بين العلم والشعر والفلسفة والتأمل.



ابن منظور صاحب لسان العرب

بالرغم من المحنة التي تعرض لها العالم الإسلامي بعد سقوط بغداد سنة (٥٦٥هـ) على يد التتار، إلا أن هذه الفترة قد شهدت ازدهاراً كبيراً في كثيرٍ من فنون الأدب واللغة والشعر، وأصبح مركز هذه النهضة الأدبية الكبيرة في مصر، كما شهدت هذه الفترة ازدهاراً في فن الموسوعات العلمية التي حفظت لنا التراث العربي من الضياع، من ذلك مثلاً: معجم الأدباء، ومعجم البلدان (وكلاهما لياقوت الحموي)، والنجموم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة (لابن تغري بردي)، وكان في مقدمة تلك الأعمال الكبيرة: موسوعة اللغة العربية المعروفة باسم "معجم لسان العرب" لابن منظور.

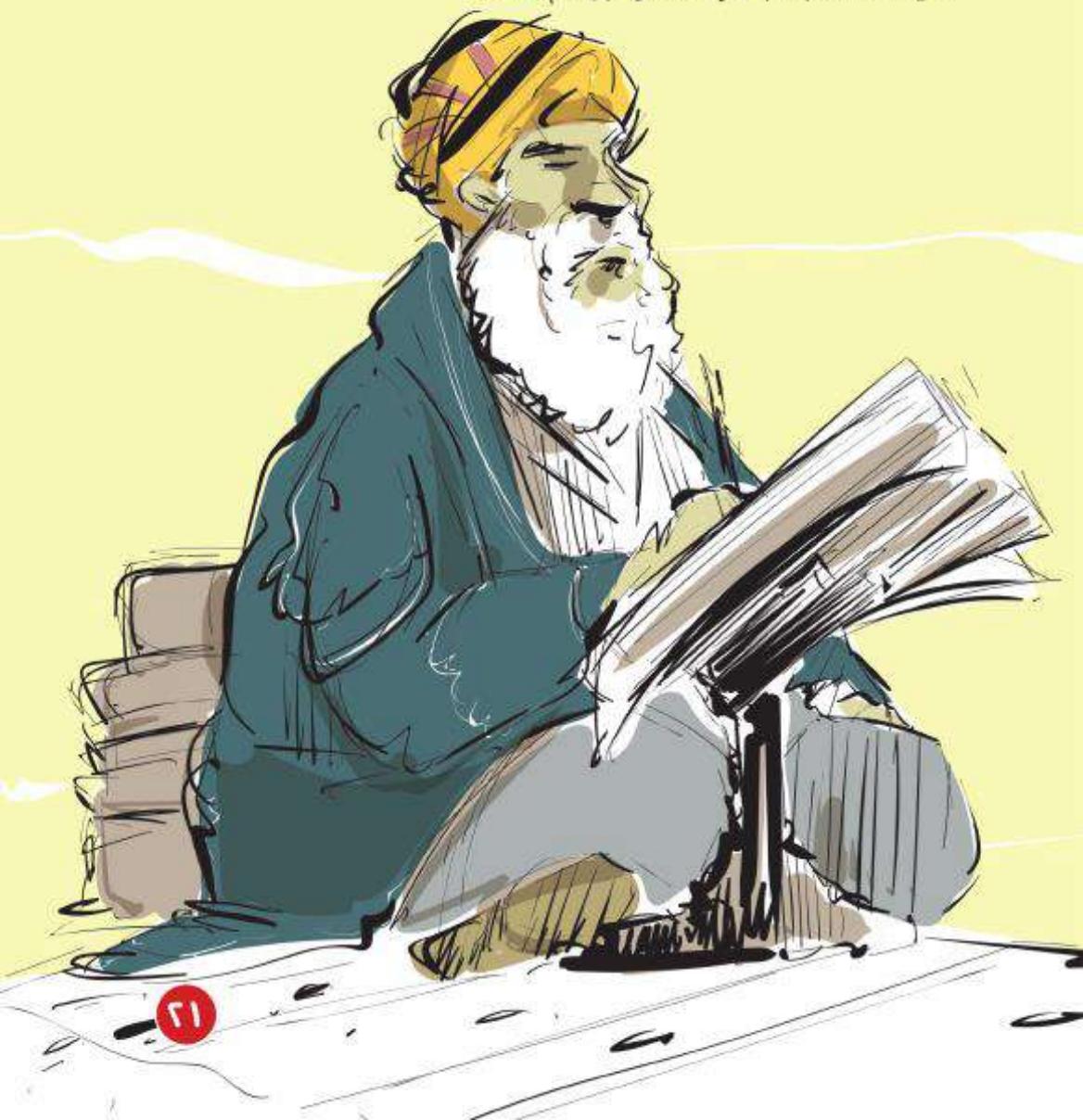
وابن منظور هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الانصاري الإفريقي. ولد في مصر، وقيل: في طرابلس المغرب في عام ٦٣٠هـ، وخدم في ديوان الإنشاء في القاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، وأصيب بفقد البصر، فلم يشهده ذلك عن العمل، احتضنته مصر كما احتضنت غيره من العلماء الذين وجدوا فيها يسراً في سبل العيش، كما وجدوا فيها الأزهر الشريف ومساجدها ومدارسها المتعددة، فكانت القاهرة مأوى للعلم والعلماء.

كانت حياة ابن منظور حياة عمل وجذب موصول، يدل على هذا أنه ترك تراثاً كبيراً من التأليف والاختصار، بلغ نحو خمسمائة مجلد عدا ما نسخه من كتب القدماء، وبالرغم من إصابةه في عينيه لم يكتف يوماً عن البحث والتأليف، بل شارك بفكرة في علوم كثيرة.

أما عمله الكبير (لسان العرب) فهو يمثل معجزة من معجزات التأليف الموسوعي في التراث العربي، ويذكر ابن منظور في صدر مقدمته لهذا المعجم أنه اعتمد على كثيرٍ من أمهات المعاجم التي سبقته، وأهمها: المحكم لابن سيده، والتهذيب للأزهري، والجمهرة لابن دريد، والمجمل لابن فارس، والنهایة لابن الأثير.

فإذا كنا أئمَّاً رجُلِ عمل بالقضاء، وكف بصره، وامتلك ناصية اللغة، فقدَّم لنا عملاً معجزاً
كلىسان العرب، فلا مُلِكُ أئمَّاً بهذه الملوحة إلا التقدير والاحترام، فقد وهب العرب معجماً
ليس فقط يعني مفردات اللغة وإنما قدم فيه الشواهد من القرآن الكريم والأحاديث النبوية
المطهرة والشعر، وساق لنا المعاني واشتق منها ما يصلح لأي زمانٍ قادم.

إنَّ التحدِّي بكل قدرة إنسانية صحيحة، وقد قام بهذا التحدِّي رجل أحب العلم فأحب
الحياة، متسلحاً بالصبر والإرادة حتى توفى عام ٧١١هـ.



داود الأنطاكي العلامة الطبيب

لوراني ابن سينا لوقف ببابي أو ابن دانيال لتكحل بترا بأتراكى

(داود)

ينتسب إلى أنطاكية، تقع بالقرب من مدينة حلب.

ويعرف بالرئيس داود بن عمر الأنطاكي الحكيم الضرير؛ فقد ولد في عام ٩٥٠ هـ فاقد البصر، وتتوفر على دراسة اللغة اليونانية، وحفظ القرآن الكريم، وبدأ رحلات كثيرة استقر بعدها في القاهرة خلال فترة حكم السلطان العثماني سليمان القانوني.

قال عنه تلميذه الفاضل الخفاجي: لقد شهد العالم بعقرية داود الضرير، فعرفت له ألقاب مثل: الحكيم، والمأهور، والفريد، والطبيب الحاذق، والعام الكامل، والعلامة الطبيب، والصيدلاني الضرير، وأبقراط زمانه، ومعجزة عصره.

وقد اكتسب شهرته في شبابه من مداواة المرضى، حيث درس الطب على أيدي بعض الأطباء المسلمين واليونانيين في عصره، وظل راحلاً في بلاد الشام إلى أن استقر في القاهرة تسقه شهرته الواسعة.

عرف داود بين علماء الشرق والغرب بكتابه "تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب"، وهو الكتاب المسمى "تذكرة داود"، حيث يتضمن أبحاثاً دقيقة في العقاقير الطبية، ظل علماء أوروبا يعتمدون عليها في تعليمهم لعلم الصيدلة في معاهدها وجامعاتها أزماناً طويلاً.

ويحكي عنه معاصروه حكايات تفوق الخيال في ذكائه ودقة تشخيصه، ومن ذلك أن أحد الأشراف قد استدعاه لقياس نبضه - وكان هذا الشريف يجلس مع أعونه - فأشار إليهم أن يمدوا لداود



أيديهم واحداً واحداً، فكان داود يلمس اليد فيقول: ليست هذه يد الشريف، حتى مد الشريف يده، فصاح داود: هذه يد الشريف، وتعجب الجميع.

وكان داود إذا سُئل عن شيء من الفنون الطبية أو الطبيعية أو الرياضية أملأ السائل في ذلك الكثير، وقد سأله رجل عن حقيقة النفس الإنسانية فأملأ داود عليه رسالة عظيمة.

ولداود الأنطاكى إلى جانب تذكره مجلد باسم "نزهة الإنسان في إصلاح الأبدان"، وكتاب "غاية المرام في تفاصيل السعادة بعد انحلال النظام"، وكتاب "طبقات الحكماء"، و"شرح القانون لابن سينا"، و"مجمع المنافع البدنية"، ورسالة "فيما يتعلق بالسفر من المسائل الطبية".

ومن يكتفى داود في تذكره بجمع أنواع الأدوية أو إيراد ما اكتشف منها، وإنما ذكر أيضاً قواعد صناعة الدواء، وطرق العلاج به، كما عرض ملئات من أنواع النباتات والأعشاب، وعشرات من أنواع الحيوانات والمعادن التي تستخرج منها العقاقير والأدوية.

وجاء داود الأنطاكى إلى مصر، وأقام بالمدرسة الظاهرية، وكان يعالج المرضى في بيمارستان القاهرة، وحقق في ذلك أموراً تصل إلى المعجزات، حيث عالج كثيراً من المرضى الميتوس من شفائهم، فأحبه الناس وسعوا إليه من كل مكان يطلبون العلاج على يديه، والتلف حوله الطلاب والأطباء في مصر حتى صار رئيس الأطباء والصادلة.

ومن العجيب أيضاً أن هذا العام الضرير استطاع ببصيرته النفاذه أن يربط أيضاً بين الطب وعلم الجغرافيا من ناحية، وبين الطب والهندسة من ناحية أخرى.

فالجغرافيا تعنى للطبيب دراسة المناخ والبيئة التي يحيا فيها المريض، ومن ثم يستطيع أن يصف له الدواء المناسب، ولنا هنا أن نذكر له الفضل في هذه العلاقة، والتي تتج عنها ما يسمى بأمراض المناطق الحارة.

لم يستسلم داود لكتف بصره، ولم يعش عالة على أحد، وإنما أتى بما لم يأت به المتصرون في ساحة لا يستغنى فيها عن البصر، وهي ساحة الطب.

ويظل داود الأنطاكي في رحلة الطب والحكمة في مصر، إلى أن سعى إلى مكة مُحرّماً ومليناً، فأقام بها بضعة أشهر، ومات بها، وذلك في عام ١٠٠٨هـ - ١٦٩٠م عن ثمان وخمسين سنة، بعد أن نال بِمَكَةَ أَيْضاً شهادة فائقة اعترف بها الجميع.

لقد ضرب داود الأنطاكي مثلًا فدًا للإرادة الإنسانية، وللبصيرة الفائقة، وترك لنا تراثًا تنتفع به الأجيال في كثير من ألوان المعرفة والحكمة.



طه حسين

عبد الأدب العربي

ولد طه حسين في الرابع عشر من نوفمبر عام ١٨٨٩ م في قرية "عزبة الكيلو" التي لا تبعد كثيراً عن مغاغة بمحافظة المنيا، وفي السادسة من عمره فقد بصره بعد أن أصيب بالرمد الصديدي في عينيه، ليعيش طوال عمره بهذه المحنـة.

وتبدأ حياة الصغير الضـير تبدل، بدأ يستحبـي أن يأكل مع إخوته، وحـرم اللعب مع أصدقائه في مثل سنـه، وكان عليه أن يذهب إلى الكتاب ليحفظ القرآن الكريم، لكنه بالإضافة إلى الكتاب، شـغـف بالاستماع إلى القصص وشـاعـرـ الرابـة الذي يـحـكيـ السـيـرـ الشـعـبـيـةـ، وما إن أكـملـ حـفـظـ القرآنـ الـكـرـيمـ حتى لـقـبـ بالـشـيخـ طـهـ، وـقـرـرـ أـبـوهـ أن يـرـحلـ طـهـ معـ أـخـيهـ إـلـىـ القـاهـرـةـ لـالـتـحـاقـ بـالـأـزـهـرـ، ويـصـبـحـ شـيخـاـ حـقـيقـيـاـ مـثـلـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ يـسـمـعـ عـنـهـمـ وـبـراـهمـ.

ثم تفتـحـ الجـامـعـةـ الـمـصـرـيـةـ عـامـ ١٩٠٨ـ، فـتـلـعـ طـهـ حـسـينـ إـلـىـ الـالـتـحـاقـ بـهـ، لـكـنـ كـيـفـ؟ـ وـهـلـ سـتـقـبـلـ الـجـامـعـةـ؟ـ

وـشـاءـ الـقـدـرـ أـنـ يـقـبـلـ طـهـ حـسـينـ فـيـ الـجـامـعـةـ، وـبـيـدـاـ فـيـهاـ حـيـاةـ عـلـمـيـةـ مـنـظـمـةـ عـلـىـ أـيـدـيـ أـحـمـدـ لـطـفـيـ السـيـدـ، وـعـبـدـ العـزـيزـ جـاوـيـشـ وـحـسـنـ الـمـرـضـيـ، وـغـيـرـهـمـ مـمـنـ كـانـواـ يـكـتـبـونـ مـقـالـاتـ أـدـبـيـةـ وـنـقـدـيـةـ فـيـ الصـحـفـ، وـكـانـ سـعـيدـاـ حـيـنـمـاـ بـدـأـ يـكـتـبـ مـعـهـمـ فـيـ الصـحـفـ.

كـمـ رـاحـ يـتـلـعـمـ الـلـغـةـ الـفـرـنـسـيـةـ بـإـرـادـةـ حـدـيـدـيـةـ، لـشـغـفـهـ بـالـسـفـرـ إـلـىـ الـخـارـجـ وـالـاطـلـاعـ عـلـىـ الثـقـافـاتـ الـأـخـرـىـ، حـتـىـ اـسـتـوـعـبـهـاـ وـتـحـدـثـ بـهـ كـاـنـهـ وـاحـدـ مـنـ أـهـلـهـ، وـبـعـدـ مـنـاقـشـاتـ مـعـ الـجـامـعـةـ وـافـقـتـ الـجـامـعـةـ عـلـىـ سـفـرـهـ بـصـحـبـةـ أـخـيـهـ، وـكـانـ ذـلـكـ فـيـ عـامـ ١٩١٤ـ، وـهـوـ فـيـ الـخـامـسـةـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ عـمـرـهـ. لـقـدـ كـانـ أـقـصـيـ مـاـ يـتـمـنـاهـ أـبـوهـ أـنـ يـصـيرـ طـهـ شـيخـاـ أـزـهـرـيـاـ مـعـمـمـاـ يـخـطبـ الـجـمـعـةـ، وـيـفـتـيـ فـيـ الـعـبـادـاتـ، وـيـقـدـمـ الـوعـظـ وـالـمـشـورـةـ، فـإـذـاـ بـهـ يـتـخـطـ ذـلـكـ كـلـهـ إـلـىـ لـغـةـ أـخـرـىـ، وـثـقـافـةـ مـخـتـلـفـةـ، بـلـ وـمـجـتمـعـ مـتـطـوـرـ آـنـذاـكـ، إـنـهـ بـارـيسـ.

ركـبـ الـبـاخـرـةـ مـنـ مـينـاءـ الإـسـكـنـدـرـيـةـ لـتـتـجـهـ بـهـ إـلـىـ مـارـسـيلـياـ الـمـيـنـاءـ الـفـرـنـسـيـ الشـهـيرـ، وـفـرـ ثـانـيـةـ أـيـامـ كـأـنـهـ الـدـهـورـ، يـحـلمـ، وـيـتـوـقـعـ، وـيـخـافـ، وـيـتـوـجـسـ، وـيـشـعـرـ بـالـخـطـرـ، وـيـعـزـيـ نـفـسـهـ بـالـقـوـةـ الـدـاخـلـيـةـ، تـنـاقـضـاتـ كـثـيـرـةـ عـاـشـهـاـ فـيـ رـحـلـةـ الـبـحـرـ.

وكان طه حسين قد اتخذ أبي العلاء المعربي أنه وذاجاً وقدوة، فأقبل على دراسته ومعرفة أسرار حياته؛ لعل ذلك يغدو أنيساً له في محنته، ثم شاء القدر أن يتلقى بفتاة فرنسية تسمى "سوزان" ويتزوجها، والحقيقة أن سوزان كان لها أثرٌ كبيرٌ في حياة طه حسين الشخصية والعلمية، فقد كان الحب بينهما تظلله المعرفة والعلم، فوققت إلى جواهه تسانده وتشد من إرادته حتى حصل على الدكتوراه، وعاد الزوجان إلى مصر ومعهم ولديهما الأول عام ١٩١٩.

عُين وزيراً للمعارف، وهو صاحب فكرة أن التعليم حقٌ لكل إنسان مثل آباء والهواة. تلك كانت رحلة طه حسين، الذي وقف أمام الصعب بقوة وإرادة، ولم يستسلم لفقد بصره ولا لبوسه، وإنما أحال كل محنـة إلى قوة وإضافة إلى الحياة، حيث تعدد نشاطـه الأدبي والعلمي والسياسي؛ فقد ترجم عن الفرنسيـة لراسـين وفولـتير وأندرـيه جـيد. وكتب في الإسلامـيات: الوعـد الحقـ، وعلى هامـش السـيرة، ومرأـة الإسلامـ، والشيخـان، والفتـنة الكـبرـيـ. وكتب عن أبي العـلاء: ذـكرـي أبي العـلاء المـعرـيـ، وتجـديـدـ أبي العـلاءـ. وفي الـدراسـات الأـدـبـيـةـ:

حدـيثـ الأـربـاعـ، وحـافظـ وـشـوقـيـ، وـخـصـامـ وـنـقـدـ. وـفيـ القـصـصـ والـرواـيـةـ: دـعـاءـ الـكـروـانـ، وـشـجـرـةـ الـبـؤـسـ، وـالـمـعـذـبـونـ فـيـ الـأـرـضـ، وـالـحـبـ الصـانـعـ. وـعـنـ سـيـرـتـهـ الذـاتـيـةـ: الـأـيـامـ، وـأـدـبـ.

إـلـىـ جـانـبـ أـعـمـالـ أـخـرـىـ كـثـيـرـةـ سـجـلتـ لـهـ تـارـيـخـاـ عـلـمـيـاـ وأـدـبـيـاـ رـفـيـعاـ، وـفـيـ ٢٨ـ مـنـ فـيـرـاـيرـ عـامـ ١٩٧٣ـ مـ رـحـلـ طـهـ حـسـنـ بـعـدـ أـنـ تـرـكـ لـنـاـ تـرـاثـاـ لـاـ يـمـوتـ.

حسين القباني صاحب الأقصوصة

كان الحاج محمد القباني يعمل بالتجارة، وكان قد وحبه الله من زوجته الأولى ثلاثة أولاد، ثم طلقها، وتزوج بأخرى سرعان ما رحلت عن الحياة تاركة ثلاثة من الأولاد الصغار، كان أكبرهم هو حسين، وأوسطهم جمال، وأصغرهم فاطمة.

وفي عام ١٩٢٧ قرر الحاج محمد القباني أن يحج إلى بيت الله الحرام، ويدهب الأب إلى الأرضي المقدسة، لكن شاء الله ألا يعود إلى وطنه وأولاده ويدفن هناك.

مات الأب تاركًا إيراداً شهرياً لا يقل عن مائة جنيه، وكان هذا مبلغاً كبيراً آنذاك وبينما كان إيراداً كفيفاً لأن يعيش به الأولاد حياة كريمة في بيته الكبير بجزيرة الروضة بالقاهرة، لكن سرعان ما اقتحمت مطلقة الأب البيت الكبير وأقامت فيه، بل رفعت قضية لضم الأولاد إلى أخيهم الكبير هاشم.

بدأ الطفل حسين يفاجأ باقتحام اليتم والحرمان وتحكم زوجة الأب التي صممت على أن يعيش حسين وأخوه جمال في البدروم الرطب من البيت الكبير، وأن تعيش فاطمة مع جدها في ميت غمر.

وتتوالى أيام الشقاء والحرمان وسوء المعاملة ورطوبة الجو في البدروم والألام النفسية واليتم، حتى جاء يوم حاول فيه حسين أن يقوم من نومه ليذهب إلى المدرسة مع أخيه جمال كعادتهم، لكنه لم يستطع، فقد شعر بأنه محموم عاجز عن النهوض من الفراش، وإذا ركبته يصيحهما ورم بألم شديد لأبي سبب حل به.

وبسبب انقطاعه عن الدراسة مرضه يصل الأسرة خطاب من المدرسة يهدد بفصل حسين، فيطلب منه الوصي "أخوه الكبير من زوجة الأب" الذهاب إلى الطبيب لاستحضار شهادة طيبة تتيح له التقدم لامتحان آخر العام.

وقرر الطبيب أن الفتى مصاب بنزلة معوية حادة، وروماتيزم حاد، وباراتيقويد، وخوفاً من العدوبي أرسلته زوجة الأب إلى قسم الأطفال بمستشفى "الملك" بالمنيرة، حيث مكث هناك خمسة عشر شهراً، ويقرر الأطباء خروج حسين من المستشفى بعد أن ينسوا من شفائه، وكان قد صار مقعداً تماماً

ومريضاً، وقد تسبب مرضه في انقطاعه عن الدراسة أربع سنوات، لكنه - وقد صار يتعايش مع محنته - قرر أن يستأنف الدراسة، فحصل على الشهادة الابتدائية في الوقت الذي حصل فيه شقيقه على شهادة الكفاءة (الثانوية).

وتنتقل الأسرة الصغيرة: حسين وجمال وفاطمة إلى حي باب الشعرية في غرفة صغيرة، ويواصل حسين تعليمه، واعتمد الإخوة الثلاثة على أنفسهم، ثم انتقلوا إلى أطراف حلوان، وكان حسين قد بدأ يقرأ كل ما يقع في يده من كتب، فإذا مل القراءة تناول فرشاة الرسم بالزيت ليرسم المظاهر الطبيعية. وفي يوم قرأ سيرة ذاتية لأحد كبار الكتاب، وكيف بدأت محاولته الأولى للكتابة، وهنا سأل نفسه: أنت تقرأ كثيراً فلماذا لا تكتب ويكون لك اسم شهير في عالم الإبداع! كان ذلك في نوفمبر ١٩٤٠ حيث أمسك القلم ليكتب قصة قصيرة، ولم يتوقف منذ ذلك التاريخ عن الكتابة والنشر.

وسمع يوماً عن معهد بريطاني لتعليم الصحافة والتأليف عن طريق المراسلة، فاشترك في هذه الدراسة واستفاد منها كثيراً، وفي عام ١٩٤٧م صدرت أول مجموعة قصصية له بعنوان (يقظة الروح)، وفيها أول قصة كتبها "زوجة الأب"، وفازت هذه المجموعة في مسابقة نادي القصة.

وفي عام ١٩٤٨م أصدر مجلة (المهرجان) التي تهتم بالقصة القصيرة، وفي عام ١٩٤٩م صدرت له رواية (دعاء الفجر)، وهي رواية طويلة.

وتتوالى أعماله المؤلفة والملتحمة طوال حياته التي عاشها ببساطة وقوه وإرادة وأمل، متحملاً كل الصعاب والمشاق، فكان مثلاً رائداً ممن يعيشون الحياة، ويعيشون حياتهم بكل ما فيها من جمال واستمتاع.



بيتهوفن الموسيقار الأصم

ولد بيتهوفن في بلدة بون الألمانية لأب اتخد الموسيقى صنعة له، وكان يحلم أن يكون ولده في منزلة موتسارت العظيم.

سلمه أبوه وهو في التاسعة من عمره إلى أحد المعلمين الكبار في الموسيقى يعمل في بلاط أمير كولونيا، وأتاح له ذلك أن يكون عازفًا في القصر.

لكن طموح الصغير جعله يرحل إلى فيينا في السابعة عشرة من عمره ليستزيد من العلم والمعرفة، وهيأت له أسرة برويننج التي كانت تتمتع بمركز اجتماعي مرموق إلى جانب اهتماماتها الثقافية المجال للاطلاع في مكتبتها بما يشبع فهمه، ونشأت بين بيتهوفن وأسرة برويننج صدقة قوية.

وفي عام 1792 م الموسيقار العظيم "هایدن" ببون فاحتفلت به الأوساط الفنية، وأسرع بيتهوفن ليعرض عليه موسيقاه؛ فيعجب به ويتبناه ليستقبل باهر في التأليف الموسيقي، ونصحه بأن يستكمل دراسته بفيينا مهد الكلاسيكية، ويساعده ذلك على استكمال ثقافته الموسيقية، ليؤلف الموسيقى ويقودها بنفسه، فتنهال عليه الدعوات للعزف في الحفلات الموسيقية.

ومم يكدر يبلغ الثلاثين من عمره - في قمة شهرته الفنية - حتى أخذ الصمم طريقه إلى أذنيه، لكنه أخذ يخفي هذه المحننة عن الناس زمناً طويلاً، ويستمر في تأليف أجمل وأعظم أعماله الفنية، وتزيد عليه العلة تدريجياً حتى صار كامل الصمم وهو في الخامسة والأربعين من عمره، وصار لا يسمع إلا ضوضاء داخل أذنيه.

كان بيتهوفن ذا نفس أبية، ولم تكن حياة القصور تستطيع أن تلونه أو تغير مذهبة في الحياة، ذلك المذهب الذي يمسك به طوال حياته وهو أن الناس سواسية لا فرق بين أمير وفقير.

ويحكى أنه دعي ذات ليلة إلى حفل يقيميه أحد الأمراء، وبعد أن عزف على البيانو وأدهش الحضور بعزفه سأله الأمير في استخفاف: لقد عزفت البيانو عزفًا جيدًا فهل تستطيع أن تعزف الكمان؟ وهنا نظر بيتهوفن إلى الأمير نظرة لها معنى، وانصرف من الحفل في صمت ودون تعليق.

وفي اليوم التالي أرسل إلى الأمير يقول: لقد أصبحت أميراً بمحض الصدفة والوراثة، أما أنا فمدين بمحكري لنفسي، إن العالم زاخر بالأمراء، لكنه ليس فيه إلا بيتهوفن واحد.

وفي عام ١٨١٥ اعتزل بيتهوفن الناس، وساقت حالته المالية، ومرض بالتهاب رئوي فلازم الفراش حتى وفاته في ٢٦ من مارس عام ١٨٢٧ م.



لويس برايل

عين الأمل

هذه قصة مدهشة حقاً تدعو إلى التأمل والإعجاب؛ لأن صاحبها فقد بصره لكنه أضاء نور الأمل لأصدقائه من مكفوفي البشرية.

ولد لويس برايل ببلدة كوبفراي شرق باريس في 4 من يناير ١٨٠٩م، كان أبوه يعمل في صناعة سروج الخيل ويسكن في بيت صغير من الحجر عند قاعدة التل.

و قبل أن يبلغ لويس الرابعة من عمره كان في دكان أبيه، وانتهز فرصة خروج أبيه من الدكان فأخذ يلهو بهثباب الجلد، فاندفع المثقب إلى إحدى عينيه ففقأها، ثم لم تلبث عينه الأخرى أن أصيبت، وأخفقت محاولات الأب مع الأطباء الإنقاذ ولده، وشاركه أهل البلد في مصابه الآليم، أما الأم فقد انتابها حزن شديد على مصرير ولدها.

كان الأب قد رسم لولده مستقبلاً مثل إخوته في سلك التعليم، لكن بدا له أن أحلامه تلك قد أصبحت وهما كبيرة، ولم يكن أمام لويس إلا أن يمارس حياته كما يفعل كل المكفوفين في العام، فبدأ يتعلم شيئاً فشيئاً القيام بأعمال كثيرة معتمداً على نفسه، ممسكاً ببعض صغيرة ترشده إلى موضع الأشياء.

ثم أرسله أبوه إلى المدرسة فتعلم فيها حروف الهجاء والحساب، وأدهش أساتذته بذكائه، وذاكرته الحافظة، وفهمه العميق، وحبه للمعرفة، ثم يموت أبوه وهو في سن العاشرة وكان لويس آنذاك في مدرسة المكفوفين في باريس.

كانت هذه المدرسة قد أنشأها صبي فقير يسمى (هاوي) اهتم بالمكفوفين، فجمع أهال، وأنشأ بها هذه المدرسة، وعندما حان موعد تخرج لويس في المدرسة طلب إليه المسؤولون أن يبقى معلماً مُدرّباً للطلاب، فعيّن أستاداً في عام ١٨٢٨م لتدريس التاريخ والهندسة والجبر، وأحبه التلاميذ واستجابوا إلى توجيهاته.

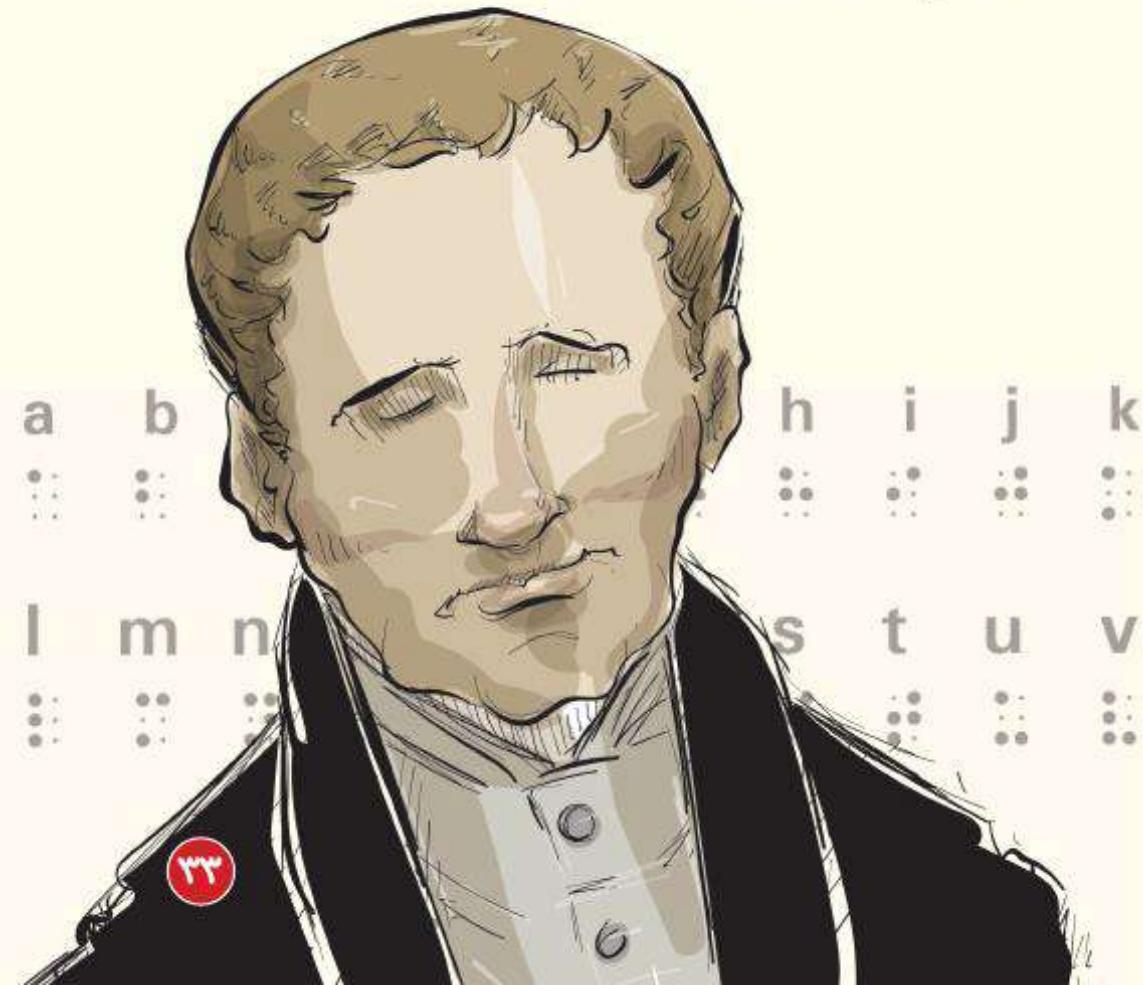
أخذ لويس يتأمل طريقة هاوي في تعليم المكفوفين، واكتشف عيوبها، ثم قرر أن يبتدع طريقة

أكثر تطوراً وبساطة في التعليم، فأخذ يفكر في طريقة تجعل مساحة الأحرف صغيرة، وتسهل على المكفوف ملمسها دون صعوبة، ودون الرجوع إلى الشفرة.

ونجح لويس برايل في اختراعه الذي جربه في المدرسة، وسعد به التلاميذ، وبدأ ينتشر في مدارس المكفوفين كنظام متقدم متتطور يسير.

وبلغ لويس الأربعين من عمره، وكان سعيداً بما توصل إليه من اختراع هذه اللوحة للمكفوفين التي سهلت عليهم القراءة والكتابة بطريقة اللمس، وعلى الرغم من أن صحة لويس كانت قد بدأ تضعف، ولازمه السعال بدون توقف، إلا أنه ظل يشارك في إلقاء المحاضرات التي يدعى إليها هنا وهناك.

وفي عام 1851 م أصيب بنزيف حاد، ولم يمهله المرض كثيراً حتى فارق الحياة في 16 من يناير 1852 م، ودفن في مقابر قريته، بعد أن انتشرت طريقة في أنحاء العالم، سواء في لغة الكتابة العادية أو الاختزال في الرياضة أو الموسيقى.



روبرت بيري والقطب الشمالي

خطيرة هي رحلات المستكشفين، فهم يواجهون الصعاب والمخاطر، لكن أحلامهم لا تتوقف، وكم يسعدهن ويفرحو حينما يبلغون ما حلموا به، وهم قد اعتادوا على الصبر، ورفضوا اليأس، وتحدوا محنهم، وأخلصوا للبشرية حينما قدموا لها الجديد في عالم الاكتشاف.

وهذه قصة مستكشف أصرّ على الوصول إلى قمة العام الشمالية حتى تجمدت أقدامه فوق الجليد، لكنه لم يتوقف، ورفض أن يعود إلى أمريكا لكي ينال علاجاً لأقدامه المتجمدة، وخشي ألا يعود، وألا يكون له شرف الاكتشاف؛ فظل صابراً على تجمد أقدامه حتى حقق أحلمه.

ولد روبرت بيري في بلدة كريسون بولاية بنسلفانيا عام ١٨٥٦ م في أسرة متوسطة، وبعد أن تلقى دراسته التحق بالجيش بوصفه مهندساً بحرياً عام ١٨٨١.

وفي عام ١٨٨٦ م حينما بلغ روبرت عامه الثلاثين قدم طلباً لقائد البحري الأمريكية لاقتحام جزيرة جرينلاند، وقام بأول مهمة واندفع بالزحافات مسافة ١٦٠ كيلو متراً في جليد الجزيرة الكبيرة.

وفي عام ١٨٩١ م كلفته الأكاديمية العلمية في فيلادلفيا بهمة جديدة، فقد حملة أخرى قاصداً أقصى شمال جرينلاند، وفي أثناء هذه الحملة وصل روبرت وحملته إلى خط عرض ٨٢، ثم قام في عامي ١٨٩٣ و ١٨٩٥ م بحملتين أيضاً خلال الجزيرة.

كان هدف روبرت بيري الوصول إلى القطب الشمالي قمة العالم، ولذلك أسس في عام ١٨٩٧ م (جمعية بيري القطبية) بهدف محدد هو الوصول إلى القطب الشمالي.

وتبدأ الجمعية عملها في إخلاص وعزيمة، وبلاقي روبرت وأصدقاؤه المشاق الصعبة فوق الجليد، والحرمان من النوم والراحة خلال رحلة البحث، لقد كانوا يصررون على تحقيق الحلم الكبير.

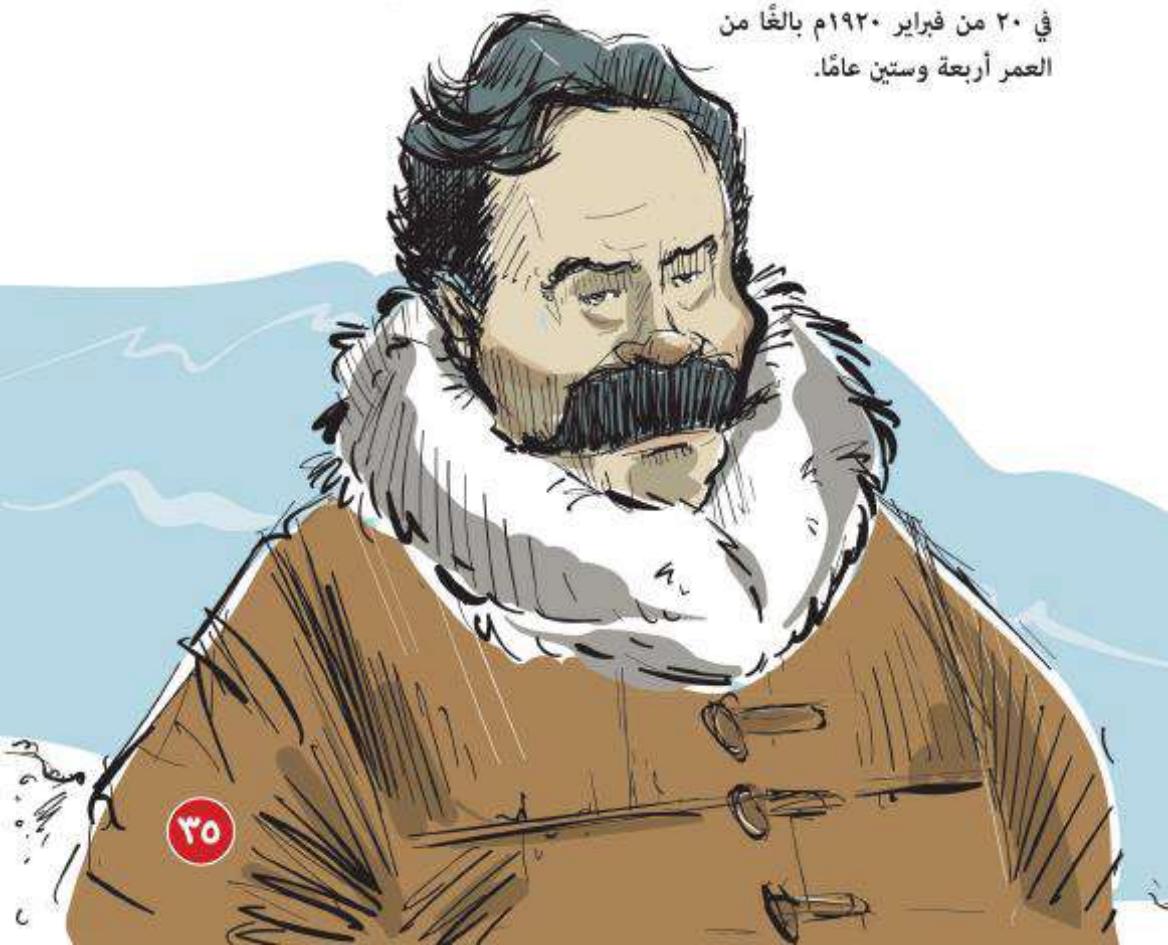
وفي عام ١٨٩٨ م قام روبرت بحملته نحو الشمال، وخلال

هذه الحملة ونتيجة لقصوة الطبيعة والإرهاق الزائد والتصميم على التحدى أصيب بيري بجمد في قدميه؛ مما تسبب في التوقف عن المضي في الحملة.

لم تخمد عزيمة روبرت بيري أمام هذه المحنـة المفاجئة، لقد أحس بالألم يتسلل إلى قدميه حتى تجمدت عن الحركة تماماً، بل نصحه أصدقاؤه بالتوقف والعودة للعلاج ثم استئناف الحملة إذا شاء، لكنه رفض ذلك وصمم على استئناف المسير.

وفي شهر سبتمبر عام ١٩٠٩ بعد رحلات عديدة قام بها روبرت بيري تلقى نادي (بيري القطبي) رسالة تحتوي على كلمة واحدة هي: (شمس)، كانت هذه الكلمة هي التي اتفق عليها من قبل للإشارة إلى نجاح الحملة ووصولها إلى القطب الشمالي، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يضع فيها إنسان قدمه على تلك الرقعة من الأرض، القطب الشمالي.

يعود روبرت بيري إلى الوطن، فيستقبل استقبلاً حافلاً، وينحـنـ رتبـةـ الأـدـمـيرـالـ، ويـعيـشـ روـبـرـتـ بـيرـيـ بـقـيـةـ عمرـهـ مـسـتـريـحـاًـ لـتـحـقـيقـ حـلـمـهـ بـالـرـغـمـ مـنـ هـذـهـ الـآـلـامـ التـيـ كـانـ يـشـعـرـ بـهـ،ـ إـلـىـ أـنـ مـاتـ فيـ ٢٠ـ مـنـ فـبـارـيرـ ١٩٢٠ـ بـالـغاـ مـنـ العـمـرـ أـرـبـعـةـ وـسـتـينـ عـاـماـ.



توماس أديسون

رجل أضاء العالم

عانت الأم كثيراً حينما حان موعد الولادة، فقد كان رأس الطفل كبيراً وبشكل غير عادي، ولم تكن العمليات القيصرية قد انتشرت، وتولد الأم بصعوبة، كان ذلك في الحادي عشر من فبراير عام ١٨٤٧ م، حيث تلقى العالم ميلاد توماس أديسون.

وظل كبر حجم رأس أديسون يعوقه عن المشي وهو طفل، ويفقده توازنه، وحار الأطباء في علاج هذا الأمر، وكثيراً ما كانت الأم (نانسي) تت shading مع جيرانها وهم يسخرون من ولدها الذي يرونه دائمًا يعني رأسه فوق صدره، ويطلقون عليه: أبو رأسين.

لكن هذا الرأس الكبير كان مملوءاً بالعقرورية التي بدلت في تفكيره وسلوكه وهو لا يزال طفلاً، ويبلغ توماس السادسة من عمره فيدخله أبوه المدرسة، لكنه لم يستطع الاستمرار فيها وغادرها بسرعة، فقد استخف بالدروس الساذجة التي تلقى عليه، وتدرك أنه عبقريته المبكرة وتقف في وجه أبيه الذي كان يقوس عليه ويراه كرسولاً وغبياً وبليداً، وكثيراً ما كان يضربه ويو逼ه أمام أصدقائه.

وقد كان منذ صغره مفتوناً بالكيمياء، يقرأ كثيراً فيها، ويشتري من ماله بعض الأدوات والقوارير، وفي غرفة سفلية من منزل أبيه جمع أكثر من مائتي قارورة مملوءة بأشياء عجيبة، وألصق عليها كلمة (سم) وراح يجري تجاربه الخاصة.

لكنه لم يكتف بذلك، فقد بدأ يكتب المقالات، وأقنع أنه سوف يعمل في بيع الصحف، وكانت سنه قد بلغت الرابعة عشرة ففكر أن يصدر بنفسه صحيفة من صفحة واحدة وبيعها مع الصحف الأخرى في القطارات.

وحدث أن كان توماس يتخد لنفسه مكاناً في عربة البضاعة، فاستغل أرباحه وقام بشراء بعض الأدوات والقوارير والأحماس والكيماويات ووضعها في هذا الركن؛ ليشبع هوايته وشغفه بإجراء التجارب، ولكن مع اهتزاز القطار سقطت الزجاجات بالأحماس واشتعلت النيران في العربة، وجاء حارس القطار وأنهال على توماس ضرباً وصفقاً على أذنيه، مما أصابه بالصمم المؤقت.

وفي حادثة أخرى كان توماس يجري وفوق صدره كمية من الصحف ليتحقق بالقطار الذي تحرك

من المحطة، فما كان من محصلقطار إلا أن مد يده وأمسك بأذنيه يساعد على الصعود، وبعدها أحس أديسون بضوضاء في أذنيه، ثم أصبح بالصمم الكامل.

وعلى الرغم من هذه المحن والصعاب بدأ أديسون يجمع شتات ذاته وعقله وسجل أول اختراع له، وكان جهازاً كهربائياً يسجل تلقائياً أصوات الناخرين في عملية الاقتراع، ثم اخترع الفونوجراف، والمصابح الكهربائية الذي أضاء العالم ووَدَّعَ به الظلام، وألة التصوير السينمائي، وألة العرض، والمولدات الكهربائية الضخمة، وغيرها من المختراعات التي تزيد على ألف اختراع.

وكان إذا كلمه الزائر وضع يديه وراء أذنه ليجمع موجات الصوت، وكان يقول: أنا أصم، فقد ضربني حارس القطار على أذني وأنا في الخامسة عشرة من عمري، وجذبني المحصل منهما لي أصعد القطار؛ فمزق طبلة الأذن، وكان يتحدث عن صممه قائلاً: إن الصمم لا يوقفني عن طموحي، ولو

أمكنتني أن أشفى منه ما فضلت الشفاء؛ لأن الصمم ساعدني على التركيز في أفكاري، ثم إنني لم أخسر كثيراً بعدم سمعي ما يقوله أكثر الناس.

ظل أديسون برغم صممه وتلك المحن التي عاناهَا مخترعاً عظيمًا، وعبرقياً أفاد البشرية كثيراً بما قدمه لها في مجالات العلم المختلفة، وفي أكتوبر ١٩٣١م دهمه المرض وهو في ضياعه الخاصة، ومات على إثره وهو في الرابعة والثمانين من عمره.



هيلين كيلر رائدة الأمل والنور

ربما يتحمل الإنسان فقد حاسة من حواسه التي يعيش بها، أما أن يفقد الإنسان ثلاث حواس في وقت واحد: السمع والبصر والنطق، فإن المعجزة تتمثل في كيف يعيش ويتغلب على هذه المحن ويتحداها.

تلك هي المحن التي عاشت بها امرأة عجيبة ملأت العام حياة ونوراً وتفاؤلاً طوال القرن العشرين، هي: هيلين كيلر.

ولدت الطفلة هيلين في 27 من يونيو عام 1880 م في إحدى مقاطعات أمريكا، ولدت سوية كاملة كما يولد الأطفال، لم تكن تشكو أي قصور في حواسها، ولكنها على العكس تماماً بدأت تتنطق في شهرها السادس، وكانت أول كلمة نطقتها: "آلام، water"، بل مشت في سنٍ مبكرة، وكانت شعلة من الحيوية والنشاط.

و قبل أن تبلغ عامها الثاني أصيبت بمرض شديد شَحَّصَه الأطباء بالحمى الدماغية، فقدت على إثره حاستي السمع والبصر، ولا مفر بعد ذلك أنها تصبح بكماء، وهكذا دخلت الطفلة في ظلمات طفولة عابسة.

ونقرأ الأم كتاب ديكنر (مذكرات أمريكية)، ومنه عرفت قصة الصماء البكماء العميماء "لورا برييدجمان" وكيف استطاع معهد "بيركنز" أن يعالجها، على الفور أخذت الأم ابنتها هيلين إلى معهد بيركنز، فرضح لها فتاة أيرلندية تخرجت في المعهد لتكون رفيقة لهيلين.

كانت "آن سوليفان" هي المشرحة لعلاج هيلين، لقد كانت فتاة كبيرة القلب واسعة الصدر، علمتها تجاربها التي مرت عليها كيف تحمل وكيف تصبر.

ووجدت "آن" تلميذتها هيلين لا تعرف شيئاً عن الحياة، لقد كانت أمام كائن يحطم كل شيء، ويغضب من كل شيء، ويحشر الطعام في فمه حشرًا، ويصرخ بلا سبب، ويضرب كل من يقترب منه.

هكذا كانت هيلين، ومن ثم كانت أمام "آن" مهمة شديدة الصعوبة، حاولت أن تكتب حروفًا على ذراع هيلين لتعبر بها عن أشياء مثل لعبة أو عروسة.

كانت هذه التجربة فاتحة المعرفة لهيلين، وبدأت عن طريق اللمس تقرأ بطريقة برايل، وفي العام

العاشر من عمرها طلبت من معلمتها أن تدربها على النطق، إنها تريد أن تسمع صوتها إلى العالم، تم ذلك في معهد بيركز، وفي مدرسة هوراس مان للصم في بوسطن، حيث أخذت هيلين تتعلم كيف تستطيع أن تحس بيديها حركات الشفاه والفك الأسفل أثناء النطق، ونجحت هيلين، وتقدمت، وفي طريق العودة همست هيلين في أذن "آن": أنا لست بكماء.

صار حلم هيلين أن تدخل الجامعة، ففي عام ١٨٩٦م دخلت مع معلمتها مدرسة كامبردج للبنات، وصارت تقرأ وتكتب بسرعة مدهشة.

ثم دخلت معهد رادكليف وتخرجت بعد أربع سنوات حاملة شهادة بكالوريوس في العلوم، وقد تعلمت خلال هذه السنوات الألمانية والفرنسية واللاتينية، ثم حصلت على الدكتوراه من جامعة قبيل في فيلادلفيا، وكانت رسالتها بعنوان: (الرسالة الإنسانية).

ثم كرّست هيلين حياتها بعد ذلك لدراسة مشكلات
مكفوفي البصر ومعاونتهم على الحياة، ومن
أجل ذلك سافرت إلى جميع بلدان العالم تلقي
المحاضرات، وتجمع أطفال مساعدتهم.

زارت هيلين كل مدن العالم، وزارت مصر،
وجلست إلى طه حسين، وتبادلا حواراً طويلاً،
وألقت عدة محاضرات في الجامعة.

وقد ألقت هيلين عدة كتب مهمة مثل:
قصة حيادي، والتفاؤل، والعالم الذي أعيش
فيه، وأغنية الجدار الحجري (شعر)،
والسلام عند الغروب، ويوميات هيلين
كيلر، ول يكن عندنا ثقة وإيمان.

وظلت هيلين تؤدي رسالتها
حتى رحلت عن عالمنا في
أمن يونيو عام ١٩٦٨م.



المكتبة العامة والتراثية



تنسيق ومتابعة
شرين سعد الدين

مراجعة اللغوية
د. أيمن إبراهيم طاجن

سلسلة رؤية للنشراء

سلسلة تصدرها وزارتا الأوقاف المصرية ممثلة في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والثقافة ممثلة في الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وتهدف السلسلة إلى تنمية مهارات النساء اللغوية، والمعرفية، والإبداعية، وتقدم زاد معرفيًّا وثقافيًّا يُسهم في تكوين شخصية النشاء وتحصينه ضد الأفكار المغيرة والمتطرفة.

أ.د/ محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف



الجنة للمرأة والتنمية

